﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٧٣﴾ [البقرة: 73]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمّا بيّن في الآية السّابقة سببَ أمرهم بذبح بقرة، وهو إرادة تعريفهم بالقاتل، ذكر هنا أمرًا صريحًا بضربها تنفيذًا للمقصود من ذبحها، وأشار ضمنيًّا إلى أنّ إحياء هذا القتيل هو أنموذج تعريفيّ توضيحيّ لهم وللنّاس كافّة بأنّ الله تعالى يُحيي الموتى في يوم البعث.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ٱضۡرِبُوهُ﴾: من الجذر اللّغويّ منه (ضرب)، وله أصل واحد "ثمَّ يُستعارُ ويُحمَلُ عليه. مِن ذلك ضَرَبتُ ضَربًا، إذا أَوقَعتَ بغَيرِكَ ضَربًا"[1]، "ومنه هذا المعنى المشهور للضّرب، أعني: صدم البدن بعصا أو يد"[2].

و"الضَّربُ: إيقاعُ شيءٍ على شيء، ولتصوُّر اختلاف الضّرب خُولِف بين تفاسيرها، كضربِ الشّيءِ باليد، والعصا، والسّيف ونحوها، قال: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ﴾"[3]، وهو أيضًا "إيقاع جسمٍ على جسمٍ قصدًا للتّأليم والإيلام.

ومعنى الضّربِ في الآية: الضَّرب المباشر للقتيل.

2) ﴿بِبَعۡضِهَاۚ﴾: جذره اللّغويّ (بعض)، والأصل في معناه " تَجزِئَةٌ للشَّيءِ. وكُلُّ طائفةٍ منه بَعضٌ. قال الخليلُ: بَعضُ كُلِّ شَيءٍ طائفةٌ منه"[4].

"وكلّ ما في القرآن من التّركيب (بعض) بمعنى: جزء من شيء، أو فريق من جماعة"[5].

والمعنى في الآية: "أيُّ شَيءٍ كانَ مِن أعضاءِ هذه البَقَرَةِ، فالمعجزةُ حاصِلَةٌ به، وخَرقُ العادةِ به كائنٌ"[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضرب).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (ضرب).
(3) الرّاغب الأصفهانّي، المفردات، والسّمين، عُمدة الحفّاظ: (ضرب).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بعض).
(5) السّمين، عُمدة الحفّاظ: (بعض).
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 1/302.

3) ﴿يُحۡيِ﴾: جذره اللّغويّ (حيي)، والأصل في معناه أنّه ضدّ الموت في أحد معنييه[1]، وهو أيضًا " قوّة سارية تتمثّل في الحِسّ والنّموّ، وهو حركة واتّصال وامتداد مع الطّراءة، وجسمُ الميّت يتصلّب"[2].

ويستعمل هذا اللّفظ "للقوّة النّامية الموجودة في النّبات والحيوان، ومنه قيل: نبات حَيٌّ، قال ﷻ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ [الحديد: 17]»[3].

"والحياة: ضدّ الموت، فكما يستعمل حقيقةً ومجازًا نحو: مات الإنسان، وماتتِ الأرض، كذلك الحياة، نحو: أحيا الله فلانًا، وأحيا الأرض بعد موتها"[4].

والمعنى في الآية: "اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته"[5].

4) ﴿ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾: من الجذر اللّغويّ (موت)، والأصل في معناه "يدُلُّ على ذَهابِ القُوَّةِ مِنَ الشَّيءِ. منه المَوتُ: خِلافُ الحَياةِ"[6].

ومن أنواع الموت بحسب أنواع الحياة ما هو بإزاء القوَّة النّامية الموجودة في الإنسان والحيوانات والنّبات، نحو قوله تعالى: ﴿يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ [الرّوم: 50][7].

"ولم يأت في القرآن من التّركيب إلَّا موتُ الأحياء من النّاس ومن البلاد والأرضين. وهي واضحة في سياقاتها"[8].

ومعنى إحياء الموتى في الآية: "بأن يبعثهم من قبورهم يوم القيامة، ليحاسبهم على أعمالهم"[9].

5) ﴿وَيُرِيكُمۡ﴾: من (أرى)، المزيدُ بالهمزة، وجذرهُ اللّغويّ (رأي)، والأصلُ في معناهُ من "نظَرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرةٍ. فالرَّأْيُ: ما يراهُ الإنسانُ في الأمرِ، وجَمعُهُ الآرَاءُ"[10]، ورؤيةُ الإنسانِ للمرئيّ هو الإدراكُ له، ويكونُ بطرقٍ عدّة كالحاسّةِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حي).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (حيي).
(3) الرّاغب، المفردات: (حيى).
(4) السّمين، عُمدة الحفّاظ: (حيي).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 2/232.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (موت).
(7) الرّاغب، المفردات: (موت).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (موت).
(9) سيد طنطاوي، التّفسير الوسيط: (موت).
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رأي).

والوهم والتّخيُّل والعقل[1]، والفعل (رأى) له معانٍ كثيرة، كالبصر بالعين، والعلم، والظّنّ، ورأى الحُلُميّة (المنامية)، وغير ذلك[2].

ومعنى ﴿وَيُرِيكُمْ﴾ في الآية: "الرؤيةُ هنا بصريَّةٌ، فالهمزةُ للتّعديّةِ أَكسَبَتِ الفعلَ مفعولاً ثانيًا، هو ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾، والمعنى: يَجْعلكم مُبصِرينَ آياته"[3].

6) ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: أصلُها (أأْية)، فأبدلت الثانية الساكنة من جنس حركة الهمزة الأولى، فصارت (أاية)، ثمّ صارتَا مدّةً، وذكرَ "أنّها مُشتقّةٌ منَ التّأيِّي الّذي هو التّثبّتُ والإقامةُ على الشّيءِ"[4]، والآيةُ تأتي بمعنى العلامةِ والشّخصِ والجماعةِ[5]، وكونُها مؤلفةً منَ الكلماتِ والجملِ؛ سمّيَت آيةُ القرآنِ بهذا الاسمِ؛ لأنّها "طائفةٌ منَ القرآنِ، يتّصلُ بعضُها ببعضٍ إلى انقطاعِها، طويلةً كانَت أو قصيرةً"[6].

"ولكلِّ جملةٍ منَ القرآنِ دالّة على حكمِ آيةٍ... وقد يُقالُ لكلِّ كلامٍ منهُ مُنفَصلٍ بفاصلٍ لفظيٍ: آيةٌ، وعلى هذا اعتبارُ آياتِ السّورِ الّتي تُعَدُّ بها السّورةُ"[7].

ومعنى آياته: دلائله وبراهينه الّتي تدُلُّ على قدرته الكاملة، ورحمته الوافرة[8].

7) ﴿تَعْقِلُونَ﴾: جذره اللّغويّ من (عقل)، الفعل منه عقلَ يعقِلُ، و"العَقل: نقيض الجَهل. عَقَل يَعقِل عَقلاً فهو عاقل. والمَعقُولُ: ما تَعقِلُه في فؤادك. ويُقال: هو ما يُفهَمُ من العَقل، وهو والعقلُ واحد، كما تقول: عَدِمتَ مَعقُولاً، أي: ما يُفهَمُ منك من ذهنٍ أو عَقل"[9].

والأصل دلالته "على حُبسةٍ في الشَّيء أو ما يُقاربُ الحُبسَةَ. من ذلكَ العَقلِ، وهو الحابِسُ عن ذميم القَول والفِعل"[10].

(1) الرّاغب، المفردات: (رأى).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (رأى).
(3) السّمين، الدّرّ المصون: 1/436.
(4) الرّاغب، المفردات: (أي).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أيى).
(6) الكفويّ، الكليّات، ص: 41.
(7) الرّاغب، المفردات: (أيّ).
(8) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/192.
(9) الخليل، العين: (عقل).
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عقل).

وفيه كثير من المعاني الأخرى، لكنّها تدور في فلك الحبس والمنع، فالعقل يحبس الإنسان، ويمنعه من ارتكاب المحظورات، والعَقل يُطلق على القوّة المُستعدّة لموافقة العلم وتقبّله[1].

ومعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ في الآية: "لتكونوا برؤية تلك الآيات على رجاء من أن يحصل لكم عقل، فيرشدكم إلى اعتقاد البعث وغيره، ممّا تخبر به الرّسل عن اللّه تعالى"[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بعد أن اهتدى النَّفرُ من بني إسرائيل إلى البقرة الّتي أُمروا بذبحها، فذبحوها، أمَرَهم الحقّ تبارك وتعالى بأن يضربوا القتيل ببعضها، فإن اللّه سيبعثه حيًّا، ويخبر عن قاتله، فضربوه ببعضها فأحياه اللّه وأخبر بقاتله؛ فتبيّن لهم سرّ ذبحها، "وهذا الأسلوب أدعى لتشويق السّامع، وأبعث له على البحث عن معرفة السّبب في ذبح البقرة ، والمفاجأة بحكاية ما كان من الجدل بين موسى وقومه، فإنّ الحكمة في أمر اللّه أمَّة بأن تذبح بقرة قد تخفى؛ فيحرص السّامع على طلبها"[3]، فلمّا أجابوا ما أمرهم اللّه، ورأوا ما حصل؛ فكان إحياؤه وكلامه من الآيات البيّنات الّتي أراها اللّه لكم يا بني إسرائيل، لعلّكم تُعملون عقولكم فيما شاهدتموه من معجزاتِه الدالَّةِ على كمال قدرته تعالى، وأنَّه يُحيي اللّه الموتى يوم القيامة، فتمتنعوا عن معاصيه.

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغة الإيجازِ بالحذفِ في جملة ﴿ٱضۡرِبُوهُ﴾:

أثر الفاءِ في وفرةِ المعاني المقدَّرة

معنى قوله تعالى: ﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾: قلنا اضربوا القتيل،"وفي الكلام حذفٌ تَقديرُهُ فضَرَبوها فَحَيِيَت"[4]؛ إذ غير جائز أن يحصل الإحياء من دون ضرب، أو لئلا يصبح فعلُ الأمر (اضربْ) لغواً لا فائدة فيه، وهو مُمتنع.

(1) الرّاغب، المفردات: (عقل).
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 1/156.
(3) المَراغيّ، تفسير المَراغيّ: 1/142.
(4) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 1/78.

فائدةُ الأمرِ بضربِ الميت ببعض البقرةِ:

توكيدُ الحجّةِ وتبعيدُ الحيلةِ وتبرئةُ موسى ممَّا اتُّهم به سليمان عليهما السلام

إن قيل: ما فائدة إحياء الميّت بضربه ببعضها، في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، واللّه قادر على إحيائه مباشرة؟ والجواب عن ذلك لتكون "الحُجَّةُ أَوكَدَ، وعنِ الحيلَةِ أبعَدَ، فقد كان يجوزُ لِمُلحِدٍ أن يُوهِمَ أنَّ موسى عليه السلام إنَّما أحياهُ بضربٍ مِنَ السِّحرِ والحيلةِ، فإنَّهُ إذا حيي عندما يُضرَبُ بقطعةٍ مِنَ البقرةِ المَذبوحَةِ انتَفَتِ الشُّبهَةُ في أنَّه لم يَحيَ بشَيءٍ انتقلَ إليه مِنَ الجِسم"[1].

بلاغةُ التَّشبيهِ وتنوُّعُ دلالتِه في قولِه: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾:

إثباتُ البعثِ، وبيانُ أثرِ القصاصِ في المحافظةِ على إحياءِ النُّفوس

أي: إنّ مثل ذلك الإحياء الّذي جعله اللّه للقتيل في قصّة البقرة سيكون كذلك للموتى يوم البعث، وفيه "مخاطبةٌ من اللّه عبادَه المؤمنين، واحتجاجٌ منه على المشركين المكذّبين بالبعث، وأمرهم بالاعتبار بما كان منه جلّ ثناؤه من إحياء قتيل بني إسرائيل بعد مماته في الدّنيا، فقال لهم تعالى ذكره: أيُّها المكذِّبون بالبعث بعد الممات، اعتبروا بإحيائي هذا القتيل بعد مماته، فإنّي كما أحيَيْته في الدّنيا، فكذلك أحيي الموتى بعد مماتهم، فأبعثهم يوم البعث"[2].

فالتَّشبيه في التَّحقُّق، وإن كانت كيفيَّة المشبَّه أقوى وأعظمَ؛ لأنَّها حياةٌ عن عدم بخلاف هاتِه، فالمقصد من التّشبيه بيانُ إمكانِ المشبَّه كقول المتنبّي[3]:

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منْهُم *** فإنَّ المِسكَ بَعضُ دمِ الغَزَالِ

وهذا استطراد تخلص به إلى قرع أسماعهم بإثبات البعث الحقيقيّ يوم القيامة[4].

(1) الرّازيّ، التّفسير الكبير: 3/134.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 2/232.
(3) المتنبّي، ديوان المتنبي، ص: 146.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/543، 544.

وقد يكون معنى إحياء الموتى - على هذا - حفظ الدّماء الّتي كانت عُرضةً لأن تُسفَك، بسبب الخلاف في قتل تلك النّفس، أي: يحييها بمثل هذه الأحكام، وهذا الإحياء على حدِّ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32] وقوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقر: 179]، فالإحياءُ هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى في الآيتين[1]، والمعنيان قويَّان في الآيةِ، وظهورُ أحدهما لا يدفعِ الآخر.

تلوين الخطاب في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾:

اجتماعُ دلالة الإشارةِ والعبارةِ من بديعِ النظمِ الجميلِ

يحتمل أن يكون هذا خطابًا للّذين حضروا إحياءَ القتيل، ففيه مجاز بالحذف[2]، أي: وقلنا لهم: كذلك يحيي اللّه الموتى يوم القيامة. وقدّره الماورديّ خطابًا من موسى عليه الصّلاة والسّلام، ويحتمل أن يكون لمنكري البعث في زمن رسول اللّه ﷺ؛ فيكون من تلوين الخطاب، والمعنى: كما أُحْيِيَ قتيلُ بني إسرائيل في الدّنيا، كذلك يحيي اللّه الموتى يوم القيامة[3].

والمعنى الأوّل هو الظّاهر والمتبادر، وعليه يكون الخطاب مجازًا بالحذفِ، والمعنى الآخر وإن لم يتّسق مع معاني السِّياقِ، إلّا أنَّ له حضورًا في إشارةِ الكلامِ، والإشارةُ تبلغ في بعض الأحايين مبلغَ العبارةِ، وعليه فالخطاب يتّجه صوبَ الفريقين، عبارةً وإشارةً، وهذا من بليغ الكمال الجميل، وبديع اللفظِ السليم.

دلالة جمع الآيات في قوله: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾:

تعدُّدُ الآياتِ الناشئةِ عن آيةِ إحياءِ الموتى

عبّر في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ عنِ المَرئيّ بجمع المؤنث السّالم؛ لمَا تشتمله هذه القصّة من الآيات الدّالّة على عظمة اللّه

(1) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/290.

(2) له أنواع عدّة؛ منها الالتفات، ومنها العدول عن الخطاب الخاصّ إلى العامّ، ومنها صرف الخطاب عن مخاطَب إلى مخاطَب آخر (وهو المقصود هنا)، وغير ذلك، يُنظر: ابن كمال باشا، تلوين الخطاب، ص: 311.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/420.

تعالى، "ويجوز أن يُرادَ بها هذا الإحياء، والتّعبير عنه بالجمع؛ لاشتماله على أمور بديعة، من ترتّب الحياة على الضّرب بعضو ميّت، وإخبارِ الميّت بقاتله، وما يلابسه من الأمور الخارقة للعادات"[1].

التّعبيرُ بالجملة الفعليّة في خبر (لعلّ):

يفيدُ الحرف (لعلّ) في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الرّجاء، وقد دخل على الضّمير العائد على مَن شملتهم قصّة البقرة من ذبح وإحياء ببعضها، ثمّ جاء الخبر فعلاً، والفعل عادة يدُلُّ على التّجدّد والاستمرار؛ لأنّ "المُراد لعلَّكم تَعمَلون على قضيَّة عُقولِكم، وأَنَّ مَن قَدرَ على إحياءِ نَفسٍ واحدةٍ قَدرَ على إحياءِ الأَنفسِ كُلِّها لعدمِ الاختصاصِ، حتّى لا يُنكِروا البَعثَ"[2]، أي: أن يُعمِل الإنسان عقله في تجدّد واستمرار.

في الكونِ آياتٌ بيّناتٌ على المرء أن يُعمِلَ عقلَه فيها تجدّدًا واستمرارًا

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 1/294.
(2) الرّازيّ، التّفسير الكبير: 3/135.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»